قلت الشيخ صفي الدين غفر الله له غير مشكور في نظم هذا البيت فان الطرد والعكس لم يات به الا في الشطر الاول وهو غير ملتزم تسمية النوع فان تسمية هذا النوع بما لا يستحيل بالانعكاس يستوعب جزا كبيرا من البيت ومع عدم التزامه بشي من ذلك جا بيته في غاية العقادة ولطول عقادته لم تلح لي فيه لمعة اهتدي بها الى فهم معناه واعجب من ذلك ان البيت مبني على مديح النبي صلى الله عليه وسلم والبيت الذي قبله من مثله وذراع الشاة كلمه عن سمه بلسان صادق الرسم والبيت الذي بعده هو النبي الذي ايا ته ظهرت من قبل مظهره للناس في القدم فبيت ما لا يستحيل بالانعكاس بينهما اجنبي ونسبته بعيد من شرف هذين البيتين المنتسبين الى النبي صلى الله عليه وسلم والعميان لم ينظموا هذا النوع في بديعيتهم وبيت الشيخ عز الدين الموصلي في بديعيته يقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

لم يستحل بانعكاس في سجيته مدن اخاطم معط اخا ندم

قلت الشيخ عز الدين رحمه الله تعذر هنا اذا احتجبت عنه مسالك الرقة لالتزامه بتسمية النوع الذي استوعب جزاء كبيرا من بيته وبيت بديعيتي اقول فيه عن النبي صلى الله عليه وسلم

بحر وذو ادب بدا وذو رحب لم يستحل بانعكاس ثابت القدم

وقد حبست هنا عنان القلم عن الاطناب في انسجام هذا البيت ورقة الفاظه وتمكين قافيته علما ان في انصاف اصحاب الذوق السليم من اهل الادب ما يغني عن ذلك والله اعلم

التورية

اوصافه الغر قد حلت بتورية جيدي وعقد لساني بعد ذا وفمي

التورية يقال لها الايهام والتوجيه والتخييل والتورية اولى في التسمية لقربها من مطابقة المسمى لانها مصدر وريت الخبر تورية اذا سترته واظهرت غيره كان المتكلم يجعله وراه بحيث لا يظهر وهي في الاصطلاح ان يذكر المتكلم لفظا مفردا له معنيان حقيقيان او حقيقة ومجاز احدهما قريب ودلالة اللفظ عليه ظاهرة والاخر بعيد ودلالة اللفظ عليه خفية فيريد المتكلم المعنى البعيد ويوري عنه بالمعنى القريب فيتوهم السامع اول وهلة انه يريد القريب وليس كذلك ولاجل هذا سمي هذا النوع ايهاما ومثل ذلك قول ابي العلا

وحرف كنون تحت را ولم يكن بدال يوم الرسم غيره النقط

فمن سمع هذا البيت توهم انه يريد برا ودال حرفي الهجا لانه صدر بيته بذكر الحرف واتبع ذلك بالرسم والنقط وهذا هنا هو المعنى القريب المتبادر اولا الى ذهن السامع

والمراد

١٦٣

والمراد غير وهو المعنى البعيد المورى عنه بالقريب لان مراده بالحرف الناقة وبحرف النون تشبيه الناقة به في تقويسها وضمورها وبرا اسم الفاعل من راى اذا ضرب الرية وبدال اسم الفاعل من دلى يدلو اذا رفق في السير وبالرسم اثر الدار وبالنقط المطر ومعنى هذا البيت ان هذه الناقة لضعفها وانحنائها مثل نون تحت يضرب دبتها ولم يرفق بها في السير فهو غير دال وقد تقدم ان الدال هو الرفيق يوم بها دارا غير المطر رسمها واجتماع هذه الاوصاف دليل على ضعف الناقة لانها لو كانت قوية لما احتاجت الى ضرب دبتها والى الرفق بها مع شدة شوقه الى ديار احبابه وذلك باعث على شدة السير قال حذاق الادب تراكيب التورية في هذا البيت بالنسبة الى ديباجة المتاخرين وطلاوة الفاظهم وزحاف بيوتهم يستحق قول القايل وما مثله الا كفارغ حمص خلي من المعنى ولكن يفرقع

لان هذا النوع اعني التورية ما تنبه لمحاسنه الا من تاخر من حذاق الشعرا واعيان الكتاب ولعمري انهم بذلوا الطاقة في حسن سلوك الادب الى ان دخلوا اليه من باب فان التورية من اعلا فنون الادب واعلاها رتبة وسحرها ينفث في القلوب ويفتح لها ابواب عطف ومحبة وما ابرز شمسها نقية من غيوم النقد الا كل ظامي مهزول ولا احرز قصبات سبقها من المتاخرين غير الفحول ومما يؤيد قولي هذا قول الشيخ صلاح الدين الصفدي رحمه الله تعالى في ديباجة كتابه المسمى فض الختام عن التورية والاستخدام ومن بديع ما هو نادر الوقوع ملحق بالمستحيل الممنوع وهو نوع التورية والاستخدام فانه نوع تقف الافهام حسرى دون غايته عن مرامي المرام نوع يشق على الغبي وجوده من اي باب جا يجد مقفلا لا يبزغ هضبه بقارع ولا يقرع بابه قارع الا من تنحو البلاغة نحوه في الخطاب ويجري ريحها بامره رخا حيث اصاب وقال الزمخشري وهو حجة في هذا العلم ولا نرى بابا في البيان ادق ولا الطف من هذا الباب ولا انفع ولا اعون على تعاطي تاويل المشتبهات من كلام الله وكلام نبيه صلى الله عليه وسلم وكلام صحابته رضي الله عنهم اجمعين فمن ذلك قوله تعالى الرحمن على العرش استوى فان الاستوا على معنيين احدهما الاستقرار في المكان وهو المعنى القريب المورى به الذي هو غير المقصود لان الحق تعالى وتقدس منزه عن ذلك والثاني الاستيلا والملك وهو المعنى البعيد المقصود الذي ورى عنه بالقريب المذكور انتهى ومنه قول النبي صلى الله عليه وسلم